

رايات الإسلام على أبواب مكة

أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا!
العباس : ويحك يا أبا سفيان.. إنها النبوة!

obeikandi.com

«خباء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في
مر الظهران، وقد أذن عليه السلام لعمة العباس
ولأبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل
ابن ورقاء.. في أعقابهم يدخل عمر بن الخطاب
مندفعاً لاهتاً لا يلوى على شيء..».

عمر بن الخطاب : يا رسول الله! هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه
بغير عقد ولا عهد، فدعني فلاضرب عنقه..
العباس : (يتداخل منبرياً) يا رسول الله إنني قد أجرته!

«النبى - عليه السلام - صامت يراقب في
صبر وحلم السجال بين عمه العباس وصاحبه
عمر بن الخطاب.. العباس يدافع باستماتة عمن
أجارهم، وعمر يذكر ما سلف منهم ومن أبى
سفيان من كيد للإسلام ورسوله، ويلح على النبى
أن يدعه يقتص ممن أساء للإسلام وأمعن في
الإساءة والإيذاء..».

العباس : (معاتباً) مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بنى عدى
ابن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال
بنى عبد مناف!

عمر بن الخطاب : مهلاً يا أبا الفضل، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب
إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بى إلا أنى قد عرفت
أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب
لو أسلم..

«النبى - عليه السلام - لا يفارقه هدوؤه..
يشع سكينه على الجميع، فيهدأ عمر بن

الخطاب، وينسحب من الخباء تاركاً العباس
ومن معه في صحبة الرحمة المهداة..»

«بخباء النبي - عليه السلام - وقد انصرم
معظم الليل والنبي عليه السلام يستخبر
أبا سفيان وصاحبيه عن أحوال مكة وأهلها..
حتى إذا انصرم معظم الليل التفت عليه السلام
إلى العباس..»

النبي : يا عباس..

العباس : لبيك يا رسول الله..

النبي : (وهو يشير إلى أبي سفيان) اذهب به يا عباس إلى رحلك
فقد أجرته لك، فليبت عندك حتى تغدو به علينا إذا
أصبحت..

العباس : (وهو ينصرف بأبي سفيان وصاحبيه) نفعل إن شاء الله..
«ينصرفون..»

«بخباء العباس، معه أبو سفيان وحكيم بن
حزام وبديل بن ورقاء.. مع تباشير الصباح،
يفجأ أبو سفيان وصاحباه بصوت الأذان وهروع
الناس، أبو سفيان ومن معه يثبون فرعين..»

أبو سفيان : (للعباس) ما يصنع هؤلاء يا أبا الفضل؟

العباس : الصلاة.

أبو سفيان : كم يصلون؟
العباس : خمس صلوات فى اليوم والليله..
أبو سفيان : كثير والله!

«أبو سفيان وصاحباہ يراقبون فى دهشة إقبال
المسلمين على الوضوء بين يدي الرحمة المهداة..».

أبو سفيان : (يتمتم لنفسه وهو ملتفت للعباس) ما رأيت مُلكا كهذا قط،
ولا ملك كسرى ولا قيصر!!.

«أبو سفيان وصاحباہ يراقبون فى دهشة
وعجب تكبير الرسول وتكبير المسلمين خلفه،
وركوعه وركوعهم خلفه، وسجوده وسجودهم
خلفه.. يتسرب إليهم رغماً عنهم الإحساس
بجلال الموقف..».

أبو سفيان : (لصاحبيه) ما رأيت كالיום طاعة، قوم جمعهم من ها
هنا وها هنا، ولا فارس الأكارم، ولا الروم ذات القرون
بأطوع منهم له.

«أبو سفيان يتابع النبى - عليه السلام - فى
فضول ممزوج بإعجاب يجتهد فى مداراته..
ينتظر حتى يفرغ النبى والمسلمون من الصلاة
فيسارع إلى العباس..».

أبو سفيان : يا أبا الفضل، أصبح والله ابن أخيك عظيم الملك.
العباس : إنه ليس بملك، ولكنها النبوة..
أبو سفيان : أو ذاك؟!!

العباس

: ويحك، آمن!

أبو سفيان

: (وهو يتابع عودة النبي إلى خبائه) أدخلني عليه يا أبا الفضل!

«العباس يقود أبا سفيان وحكيم بن حزام

وبديل بن ورقاء إلى خباء النبي عليه السلام..».

«بخباء النبي - عليه السلام - وقد أذن

للعباس وأبي سفيان وصاحبيه.. يدخلون عليه

وقد افترش حصيراً خشنًا..».

النبي

: (لأبي سفيان) ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم

أنه لا إله إلا الله!

أبو سفيان

: بأبي أنت وأمي!! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك وأعظم

عفوك! إنه لو كان مع الله إله لقد أغنى عنى شيئاً بعد،

لقد استنصرت إلهي واستنصرت إلهك، فوالله ما لقيتك

من مرة إلا نُصرت عليّ - فلو كان إلهي محقاً وإلهك مبطلاً

غلبتك!

النبي

: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟!

أبو سفيان

: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك وأعظم عفوك!

أما هذه فوالله إن في النفس منها حتى الآن شيئاً!

العباس

: (لأبي سفيان) ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن

محمدًا رسول الله..

أبو سفيان

: (مستسلمًا) أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله..

«حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ينطقان

بالشهادة..».

حكيم وأبو سفيان : يا رسول الله، جنئت بأوباش الناس، من يُعرف ومن لا يُعرف، إلى عشيرتك وأهلك! .

النبي : أنتم أظلم وأفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية، وظهرتم على «بنى كعب» بالإثم والعدوان في حرم الله وأمنه! .

حكيم وأبو سفيان : يا رسول الله، لو كنت جعلت حدتك ومكيدتك. بهوازن، فهم أبعد رحماً وأشد عداوة لك!! .

النبي : إنى لأرجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله بفتح مكة، وإعزاز الإسلام بها، وهزيمة هوازن.. فإنى راغب إلى الله تعالى في ذلك..

«أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء

مبهوتون، يصغون إلى كلمات النبي وكأن على

رؤوسهم الطير!» .

أبو سفيان وحكيم : يا رسول الله ادع الناس بالأمان، أرايت إن اعتزلت وكفت أيديها، آمنون هم؟ .

النبي : نعم.

العباس : يا رسول الله، قد عرفت أبا سفيان وجه الشرف والفخر، فاجعل له شيئاً..

أبو بكر : (وقد لحق بالمجلس) إن أبا سفيان رجل يحب السماع..

النبي : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

أبو سفيان : (وهو يغالب اغتباطه) وما تسع دارى يا رسول الله؟!

النبي : (مضيفاً) ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن..

* * *

«النبي - عليه السلام - في حضرته العباس
بعد أن خرج أبو سفيان وصاحباؤه.. يبادر العباس
مستدركاً..».

العباس : (للنبي) يا رسول الله، إنى لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن
إسلامه فأرده حتى يفقه ويرى جنود الله معك..

صحابي : أصاب العباس.

أبو بكر : يا رسول الله، لو أمرت بأبى سفيان فحبس على الطريق؟.

النبي : (للعباس) يا عباس، احتبسه بمضيق الوادى عند خَطْمِ
الجبيل حتى تمر به جنود الله فيراها.

«العباس يطير لتنفيذ ما أمر به رسول الله
عليه السلام..».

أبو سفيان وحكيم : يا رسول الله ادع الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت وكفت
أيديها، آمنون هم؟.

النبي : نعم.

العباس : يا رسول الله، قد عرفت أبا سفيان وجه الشرف والفخر،
فاجعل له شيئاً..

أبو بكر : (وقد لحق بالمجلس) إن أبا سفيان رجل يحب السماع..

النبي : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

أبو سفيان : (وهو يغالب اغتباطه) وما تسع دارى يا رسول الله!؟

النبي : (مضيقاً) ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد
فهو آمن..

«بمضيق الوادى المؤدى إلى مكة، عند خَطْمِ

الجبيل (أنف الجبيل)، يقف العباس وإلى جواره

أبو سفيان يرقبان أرتال المسلمين الماضية إلى مكة
 باللواءات والأعلام والرايات.. تسبق في المرور
 أرتال بنى سليم فى نحو ألف عليهم خالد بن
 الوليد، وفيهم لواء يحمله عباس بن مرداس
 السلمى، ولواء يحمله خُفاف بن نُذْب، وراية
 يحملها الحجاج بن علاط..».

أبو سفيان : (مأخوذاً) ما كل هذه الجحافل يا أبا الفضل؟! آمن كل
 هؤلاء!!

العباس : وأكثر يا أبا حنظلة!!

«يمر خالد بن الوليد فى ألويته بمحاذاة موقع
 العباس وأبى سفيان.. خالد يكبر ثلاثاً..»

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟

العباس : خالد بن الوليد..

أبو سفيان : الغلام؟!

العباس : (متجاهلاً تعليقه) على ألف من بنى سليم..

أبو سفيان : ما لى وبنى سُليم!

«أبو سفيان ينظر مبهوراً.. لا يكاد رتل خالد
 ابن الوليد يمر، حتى يعقبه رتل آخر عليه الزبير
 ابن العوام فى نحو خمسمائة من المهاجرين
 وأفناء العرب.. بمحاذاة العباس وأبى سفيان يمر
 الزبير بن العوام حاملاً راية سوداء، الزبير يكبر
 ثلاثاً..».

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟
 العباس : (مزهواً) هذا الزبير بن العوام.
 أبو سفيان : ابن أختك؟
 العباس : نعم.

«تظهر قبيلة غفار يحمل رايتها أبو ذر الغفارى، تتوالى تكبيراتها وهى تمر بمحاذاة العباس وأبى سفيان..».

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟
 العباس : هذه غفار.. يحمل رايتها أبو ذر: جندب بن جنادة.. إنه سيد غفار منذ أسلم.
 أبو سفيان : (ممروراً) ما لى ولبنى غفار؟!.

«فى مكنهما بخطم الجبل، العباس وأبو سفيان يرقبان مرور أرتال القبائل.. «أسلم» فى أربعمائة يحمل أحد لواءيها بُرَيْدَة بن الحصيب، ثم بنو كعب بن عمرو إخوة أسلم.. فى خمسمائة يحمل رايتهم بُسر بن سفيان..».

أبو سفيان : وهؤلاء؟!
 العباس : بنو كعب بن عمرو إخوة أسلم..
 أبو سفيان : نعم، هؤلاء حلفاء محمد..

«تمر قبيلة «مُرَيْنَة» فى ألف فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس، يحمل ألويتها النعمان بن مقرن وعبد الله بن عمرو بن عوف، وبلال بن الحارث.. الجميع يكبرون، تتجاوب أصداء تكبيراتهم فى جنبات الوادى..».

أبو سفيان : ومن هؤلاء يا أبا الفضل؟! :
العباس : هذه مُزينة.
أبو سفيان : (ممرورًا) ما لي ولمزينة؟ قد جاءتنى توقعع من شواهقها!

«يتوالى مرور أرتال القبائل فى مضيق الوادى..
تمر «جهينة» فى ثمانمئة تحمل أربعة ألوية
يحملها أبو روعة معبد بن خالد، وسويد بن
صخر، وعبد الله بن بدر.. تتلوها «كنانة» فى
مائتين يحمل لواءهم أبو واقد.. تتعالى تكبيراتهم
فى جنبات الوادى..»

أبو سفيان : من هؤلاء؟! :
العباس : بنو بكر؟ :
أبو سفيان : نعم.. (مغيظًا) أهل شؤم والله! هؤلاء الذين غزانا
محمد بسبيهم!
العباس : قد خار الله لكم فى غزو محمد.. أتاكم منكم وتدخلون
فى الإسلام كافة..

«يتتابع مرور أرتال القبائل.. تمر «بنو ليث»
فى مائتين وخمسين يحمل لواءها الصعب بن
جثامة، تتلوها «أشجع» فى ثلاثمئة يحمل
لواءيها معقل بن سنان، ونعيم بن مسعود..
تتعالى تكبيراتهم..»

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟ :
العباس : هؤلاء كانوا أشد العرب على «محمد»!
وأدخل الله الإسلام فى قلوبهم، فهذا فضل
من الله..

أبو سفيان : (وهو يتطلع إلى الوادى) أمضى محمد؟! :
العباس : لا. لم يمض بعد. (يستأنف) لو أتت الكتيبة التى فيها
رسول الله رأيت الحديد والخيل والرجال، وما ليس لأحد
به طاقة!

أبو سفيان : (محسورًا) ومن له بهؤلاء طاقة؟! :
«فى بداية مضيق الوادى تظهر الكتيبة
الخضراء فيها رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - تضم المهاجرين والأنصار، وفيها
الرايات والألوية، مع كل بطن من بطون الأنصار
والمهاجرين لواء وراية، وهم فى الحديد لا يرى
منهم إلا الحدق..»

أبو سفيان : (مبهورًا) سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟! :
العباس : هذا رسول الله.
عمر بن الخطاب : (مناديًا على الصفوف) رويدًا حتى يلحق أولكم آخركم..
أبو سفيان : (مستهولًا) يا لكثرة الحديد فى هذه الكتيبة؟! :
العباس : هذه الكتيبة الخضراء!
أبو سفيان : (يردد مأخوذًا) الكتيبة الخضراء!
العباس : (مزهوًا) نعم فيها رسول الله، وفيها المهاجرون والأنصار،
والرايات والألوية.. مع كل بطن راية ولواء.
أبو سفيان : (يكرر - محزونًا) يا لكثرة الحديد فى هذه الكتيبة..
لا يرى منها إلا الحدق.. ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة..
(مستأنفًا) والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك
الغداة عظيمًا!

العباس : ويحك يا أبا سفيان.. إنها النبوة!
أبو سفيان : فتعم إذن!

«يمضيان مسرعين ليتابعا المشهد من موقع
آخر..»

* * *

«الكتيبة الخضراء وفيها رسول الله - عليه
السلام - ماضية فى الوادى إلى ذى طوى،
يرقبها أبو سفيان مع العباس، فما يكاد أبو
سفيان يرى النبى حتى يبادر إليه شاكياً ما سمع
أن سعد بن عبادة قد هدد وتوعد به..»

أبو سفيان : (منادياً) يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟!!

«النبى عليه السلام ينظر إليه مستنكراً! !»

أبو سفيان : (يستأنف) ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟

النبى : ما قال؟!!

أبو سفيان : إنه ينادى فيمن معه - اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل

الحرمة! (يستأنف) وإنى أنشدك الله فى قومك، فأنت أبر

الناس، وأوصل الناس، وأرحم الناس..

عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله، ما نأمن سعداً أن تكون منه

فى قريش صولة!

النبى : بل اليوم يوم الرحمة.. يا أبا سفيان، اليوم يوم الرحمة..

يوم يعظم الله فيه الكعبة، وفيه تكسى الكعبة..»

أبو سفيان : (لنفسه) ما أبرك وأكرمك وأوصلك وأرحمك..

«النبي - عليه السلام - ينادى في المسلمين
من يبعث به إلى سعد بن عبادة..».

«على مشارف مكة، وقد طار إلى النبي - عليه
السلام - أحد شباب الأنصار ليكون مبعوثه إلى
سعد بن عبادة.. النبي - عليه السلام - يوصيه
أن يلحق بسعد ليجعل اللواء لابنه قيس بن
سعد..».

«بعد بضع ساعة بنفس المكان.. الشاب
الأنصاري عائد من لدى سعد بن عبادة.. يخبر
رسول الله بأن سعدًا يطلب أمانة من رسول الله
حتى يطمئن إلى أنه عليه السلام الذي يريد
ذلك.. النبي - عليه السلام - يدفع عمامة له
إلى الشاب الأنصاري ليذهب بها - كأمانة - إلى
سعد بن عبادة..».

* * *

«سعد بن عبادة وسط أرتال الأنصار.. يستقبل
سعد أمانة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فيسارع بدفع اللواء إلى نجله قيس.. ينساب
الاطمئنان في حنايا الجميع أن اليوم يوم الرحمة
كما قال رسول الله..».

* * *

«في ذي طوى، على أعلى مداخل مكة..
النبي - عليه السلام - على ناقته القصواء يرتدى

عمامة سوداء وقد أرخى طرفها بين كتفيه ،
ويتهيأ لدخول مكة من عند «أذاخر» (ثنية
بين مكة والمدينة) بعد أن بعث أرتالاً لدخولها
من أسفلها.. يلاحظ المسلمون أن النبي - عليه
السلام - يحنى هامته خشوعاً وتواضعاً وشكراً
لله حتى لكادت لحيته تمس وسط الراحلة..
يتقدم إليه العباس..»

العباس : يا رسول الله!! لو أذنت لي فأتيت أهل مكة، فدعوتهم
وأمنتهم!!

«العباس يغتنم فرصة أن النبي عليه السلام
ساكت لا يرد وقد لاحت على محياه بسمة،
فيطير إلى الشهباء: بغلة الرحمة المهداة، وينطلق
بها ينشد أهل مكة.. لا يكاد العباس ينطلق حتى
ينادى الرسول عليه السلام فيمن حوله..»

النبي : ردوا علىّ أباي، ردوا علىّ أباي.. فإن عمّ الرجل صنو أبيه!
الصحابة : هو في أمان بإذن الله..

النبي : أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود..
دعاهم إلى الله فقتلوه أما والله لئن ركبوها منه لأضربنها
عليهم ناراً!

* * *

«على مدخل مكة، يلتقى العباس بأبي
سفيان.. يتداولان سريعاً فيما ينبغي على كل
منهما عمله.. يطيران كل إلى غايته كيما تحتكم

قريش إلى العقل وتلبى دعوة الرحمة المهداة
بتجنب القتال..».

* * *

«بحى من أحياء مكة من جهة الشمال العباس
ينادى فى الناس»

العباس : (منادياً) يا أهل مكة!! أسلموا تسلموا قد استبطنتم بأشهل
بازل..

* * *

«أبوسفيان وقد دخل مكة من موضع «كداء»
(جبل بأعلى مكة من ناحية الشمال).. يلاقيه
العباس..».

العباس : يا أبا حنظلة.. انجُ ويحك، فأدرك قومك قبل أن يُدخل
عليهم..

«أبوسفيان ينطلق فى أحياء مكة ينادى فى
الناس وقد أخذه الوجل والاضطراب!!».

أبوسفيان : (منادياً) يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل
لكم به، أسلموا تسلموا..

«الناس تطير إلى أبى سفيان وجلة مستطعة!!»

القرشيون : (مرددين فى دهشة) نسلم؟!!

أبوسفيان : أجل. أسلموا تسلموا.. (مزهواً بنفسه) من دخل دار
أبى سفيان فهو آمن!

القرشيون : (يرددون مستنكرين) دارك؟! .. قاتلك الله! وما تغنى دارك؟!!

أبوسفيان : ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن..

«أبو سفيان يجوب أنحاء مكة يسبقه صراخه

إلى الناس حتى يصل إلى البيت الحرام.. تقوم

إليه زوجه هند بنت عتبة وقد أعماها الغضب

بما تسمعه وتراه من زوجها!!»

هند بنت عتبة : (وقد أمسكت برأس أبي سفيان) ما وراءك؟!!

أبوسفيان : (مضطرباً) هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد،

(مزهوًا) وقد جعل لى من دخل دارى فهو آمن، ومن أغلق

بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن..

هند : (منتهرة وقد اعترها غضب جامح) قبحك الله رسول قوم!

«أبوسفيان يزور عنها ويمضى فى ندائه..»

أبوسفيان : يا معشر قريش ويحكم! إنه قد جاء ما لا قبل لكم به!

هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد!

هند : (وقد جن جنونها) قبحك الله وافد قوم! (تمسك بشاربه)

اقتلوا هذا الحميت (البدین كثير الدهن) الدسم الأحمس..

اقتلوا وافدكم هذا، قبحك الله وافد قوم! .. قُبِح من

طليعة قوم..

أبوسفيان : (وقد انفلت منها) ويلكم! لا تغرنكم هذه عن أنفسكم، فإنه

قد جاءكم ما لا قبل لكم به.. رأيت الرجال والكراع، فلا

لأحد بهذا طاقة!

«أبو سفيان يمضى فى ندائه وقد امتلكه الزهو
والخوف والاضطراب..»

* * *

«بالحجون على مشارف مكة، وقد وصل
الرسول عليه السلام والكتيبة الخضراء من
«أذخر» بغير قتال، لم يلاقوا كيداً.. المسلمون
يضربون قبة للنبي عليه السلام بينما يمر بينهم
منادى الرسول ينهاهم عن القتال..»

المنادى : (منادياً) إن رسول الله يأمركم أن تكفوا أيديكم، ولا تقاتلوا
إلا من يقاتلكم!

«مشارف مكة، يتتابع وصول كتائب الإسلام..
أبوعبيدة بن الجراح يقبل بالصف من المسلمين
الذين دخل بهم فيقف بمن معه عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم.. النبي عليه السلام يؤمر أبا
عبيدة على «الحسّر»: الذين بغير سلاح.. بينما
يدخل الزبير بن العوام من ناحية «كدى» (جبل
بيسار مكة) من على المجنبة اليسرى حسبما
أمره رسول الله - عليه السلام - ما إن يصل
الزبير إلى «الحجون» (بقرب كدى) حتى يغرز
رايته.. يقبل عليه العباس متسائلاً..»

العباس : ها هنا أمرك رسول الله أن تركز الراية؟

الزبير بن العوام : نعم

«الحجون بموضع قبة الرسول - عليه السلام
- يتتابع وصول المسلمين، فيصل سعد بن عبادة
ومن معه حاملاً رايتهم قيس بن سعد بن عبادة..
دخلوا بدورهم من أعلى مكة من ناحية «كداء»..
أهالى مكة يرقبون كتائب الإسلام فى وجل
وانبهار، يدركون صدق مقالة أبى سفيان لهم
أنهم لا قبل ولا طاقة لهم بصد هؤلاء.. ينظرون
بتعجب كبير إلى نهى النبى - عليه السلام
- للمسلمين عن القتال.. يتساءلون فيما بينهم
كيف يفعل ذلك وقد آذوه وأخرجوه؟! ..! بينما
المسلمون مشغولون بأنباء خالد بن الوليد الذى
أمره النبى - عليه السلام - بالالتفاف ودخول
مكة من «الليط» بأسفلها من ناحية الجنوب..».

* * *

«فى سفح «الخدمية» (جبل بمكة) -
صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن
أبى جهل قد تنحوا عن الناس يتناجون فيما
يفعلون.. كم تأمروا ودبروا وآذوا النبى - عليه
السلام - والمسلمين؟! ، يدور برؤوسهم أنهم
لن يُغفر لهم ذنب فى هذا اليوم العصيب الذى
توشك فيه كتائب الإسلام أن تغشى مكة من
أعلاها وأسفلها.. ماذا عساهم أن يصنعوا.. إنهم
لا يجدون بدءاً من تأليب الناس على قتال رسول

الله، يصيحون في الناس مؤلبيين مستحثين..
يضوى إليهم ناس من قريش وناس من بنى بكر
وهذيل، يتلبسون السلاح، ويتحفزون للقتال..»

بعضهم : نقسم بالله لا يدخلها محمد عنوة أبدًا!!

الباقون : هيهات هيهات أن يدخلها محمد عنوة!!

«يمضى المجتمعون لجمع السلاح والعتاد لمنع
رسول الله من دخول مكة»

«بقريب من المتجمهرين.. دار حماس بن قيس
ابن خالد الدبلي.. قد انزوى بمكان بالدار يعد
سلاحًا ويصلح منه.. تدخل عليه زوجته فتلفاه
على هذه الحال!»

زوجة حماس بن قيس : (مستنكرة) لماذا تعد ما أرى؟! :

حماس : لمحمد وأصحابه!

الزوجة : والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء.. :

حماس : (مستخفًا) إنى لأرجو أن أخدمك منهم خادمًا (أتى لك

بخادم منهم) فإنك إليه محتاجة!!

الزوجة : (مستنكرة) ويحك لا تفعل ولا تقاتل محمدًا! والله

ليضلن هذا عنك لو رأيت محمدًا وأصحابه!

حماس : (مكابراً في زهو) سترين.. (يكرر) إنى لأرجو أن أخدمك

بعضهم..

(يستأنف منشداً)

إن يقبلوا اليوم فما لى علة هذا سلاح كامل وألّه

ذو غرارين سريع السلّة

«حماس يندفع حاملاً سلاحه إلى خارج

الدار..»

* * *

«فى «الخدممة».. عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وحماس بن قيس بن خالد، وقد اجتمع إليهم نفر من الناس، تأخذهم الحماسة فيتريصون بالسلاح ويقذفون بالنبال طلائع خالد بن الوليد وقد جاء من «الليط» بأسفل مكة فى قبائل أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة.. يندفع المشركون إلى قتال أحرق رامين المسلمين بالنبل والسهام، بينما يتأهب خالد ابن الوليد للقائهم.. يطير إلى المشركين أبوسفيان وحكيم بن حزام..».

أبو سفيان وحكيم بن حزام : (صائحين) يا معشر قريش، علام تقتلون أنفسكم؟! .. من دخل داره فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن..

«مع تطاير النبال والسهام، يولى الأدبار كثيرون من أصحاب عكرمة وصفوان وسهيل.. أصيب من جمعهم نحو بضعة عشر رجلاً وأخذ الباقون يولون الأدبار فى كل وجه.. يطرحون السلاح فى الطرقات والأزقة، ويطيرون إلى الدور يغلقون عليهم الأبواب!..».

* * *

«دار حماس بن قيس بن خالد، مغبر الوجه
 يطرق الباب بشدة فى فرق هائل.. لا تكاد زوجته
 تفتح الباب حتى يندفع حماس إلى الداخل ذاهلاً
 ذاهب الروح!!»

زوجة حماس : (ساخرة عاتبة) أين الخادم الذى وعدتني؟!
 حماس : قبحك الله!
 الزوجة : ما زلت منتظرة لك منذ اليوم..
 حماس : دعى هذا عنك، وأغلقى على بابي!
 الزوجة : ويحك! ألم أنك عن قتال محمد؟! وقلت لك ما رأيته
 يقاتلكم يوماً إلا ظهر عليكم.. وما بابنا الذى تريد أن
 تغلقه؟!
 حماس : إن من أغلق عليه بابه فهو آمن.. إنه لا يفتح على أحد
 بابه!! (ينشد حزينا):

إِنَّكَ لَو شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةٌ
 وَأَبُو يَزِيدٍ كَالْعَجُوزِ الْمُؤْتَمَةِ وَاسْتَقْبَلَتْهُمُ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ
 يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٍ ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا الْغَمْغَمَةَ
 لَهُمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمْ لَمْ تَنْطِقْ فِي اللُّؤْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

* * *

«النبى عليه السلام فى أصحابه بموضع القبة
 التى ضربها المسلمون له، يسأل عن خالد بن
 الوليد ومن معه لماذا تأخروا..»

صحابي : لعله يقاتل!
النبي : إن الله حرم مكة.. فهي حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم
القيامة..

«تظهر طلائع خالد بن الوليد تدفع أمامها
فلول المنهزمين مندفعين إلى رؤوس الجبال، ينظر
النبي - عليه السلام - فيلمح بارقة السيوف..».

النبي : (لمن حوله) ما هذه البارقة؟!

الصحابي : هذا خالد يقاتل..

النبي : (غاضبًا) ألم أنه عن القتال؟

بعض الصحابة : قوتل خالد فقاتل، ولو لم يُقاتل ما قاتل!

النبي : (لأصحابه) قولوا له فليرفع يديه عن القتل..

«يطير بعض الصحابة إلى خالد بن الوليد
لإبلاغه أمر الرسول عليه السلام..».

* * *

«بعد برهة.. خالد بن الوليد يقف أمام النبي

عليه السلام..».

النبي : (عاتبًا) ألم أنهك عن القتال؟!

خالد : هم يا رسول الله بادءونا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا

فينا السلاح.. كفت عنهم ما استطعت، وقد دعوتهم إلى

الإسلام وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأبوا حتى إذا

لم أجد بداً من قتالهم قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا من

كل وجه!!

النبي : كف عن الطلب.

خالد : قد فعلت .
النبي : قضاء الله خير .

* * *

«بداخل مكة، دار أبي قحافة والد أبي بكر..
يتسامع بما يدور في أرجاء مكة عن مقدم النبي
عليه السلام في أصحابه وفيهم أبو بكر.. يستبد
الفضول بالشيخ الطاعن، ينادى وقد أوشك أن
يكف بصره على أصغر بناته..».

أبو قحافة : أى بنية، اظهري بي (اصعدى بي) على أبى قُبَيْس (جبل
بمكة)..

«بنت أبى قحافة تصحبه متوكئاً عليها وعلى
عصاه إلى موضع بالجبل.. يرتقيانه إلى حيث
يمكن الإشراف على مشهد النبي - عليه السلام
- والمتجمعين معه بذى طوى..».

أبو قحافة : (لابنته وقد اشتد فضوله) أى بنية!! ماذا ترين؟

البنية : أرى سواداً مجتمعاً..

أبو قحافة : تلك الخيل.

البنية : وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً.

أبو قحافة : أى بنية، ذلك الرجل الوازع (الذى يأمر الخيل ويتقدم

عليها).. (يستأنف) ماذا ترين؟!

البنية : أرى السواد قد انتشر وتفرق!

أبو قحافة : إذن دفعت الخيل وانتشرت.. فأسرعى بنا إلى بيتي..

«ابنة أبى قحافة تقوده راجعة إلى الدار..
بالأبطح يسمعان دبيب مقدم الخيل، فيغزان
الخطى إلى الدار قبل أن يداهما الطوفان!..!»

* * *

«قبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالحجون بشمال مكة، وقد مكث ساعة حتى
اطمأن الناس.. النبي - عليه السلام - يغتسل
ويدعو بإراخلته القصواء، فيستوى عليها وقد حف
الناس به، والخيل تسعى فيما بين الخدمة إلى
الحجون.. إلى جوار النبي - عليه السلام -
يسير أبوبكر الصديق يتحادثان.. النبي - عليه
السلام - آخذ في قراءة سورة الفتح.. الموكب يمر
ببنات أبى أحيحة وقد نشرن شعورهن يلطن
وجوه الخيل بالخمير - النبي - عليه السلام -
ينظر متبسماً إلى أبى بكر فيذكر بيت حسان بن
ثابت ويطلق منشداً..»

أبوبكر : تظل جيادنا متمطراتٍ يَلَطْمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النساء
«الكعبة تبدو في الأفق، النبي - عليه
السلام - يتقدم على راحلته ومعه المسلمون،
فيستلم الركن بمحجنه ويكبر.. المسلمون يكبرون
ويرجعون التكبير من ورائه حتى تكاد مكة ترتج
ارتجاجاً من أصداء التكبيرات وجعل الرسول
يشير إليهم أن اسكتوا..»

«على قمم الجبال المحيطة بالبيت الحرام،
يقف المشركون ينظرون وقلوبهم مليئة بالحسرات..
النبي - عليه السلام - يبدأ الطواف بالبيت وقد
أخذ محمد بن مسلمة بزمام الناقة.. النبي -
عليه السلام - يقبل على الحجر فيستلمه ثم يبدأ
الطواف بالبيت...».

«النبي - عليه السلام - بيده طرف قوس،
كلما مرّ - عليه السلام - بصنم من الأصنام التي
بلغت ثلاثمائة وستين صنماً، يشير إليه بطرف
القوس فيهوى تحت طرقات المسلمين بينما النبي
- عليه السلام - يقول:

النبي : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً!!

«بعد الطواف، وقد حل المساء وأرخى الليل
سدوله.. و«هبل» أكبر الأصنام حجماً جاثم في
جوف الكعبة.. النبي - عليه السلام - يلتفت
إلى علي بن أبي طالب..».

النبي : (لعلّي) اصعد علي منكبي واهدم الصنم.
علي بن أبي طالب : (مستهولاً) يا رسول الله بل اصعد أنت فإنني أكرمك
أن أعلوك..
النبي : فاصعد أنت..

«النبي - عليه السلام - يجلس آمراً على
بن أبي طالب أن ينفذ ما أمره به.. علي وقد
تملكه الحياء والإشفاق يصعد متحرجاً على كاهل

النبي.. النبي - عليه السلام - ينهض به إلى
حيث سعد على فوق ظهر الكعبة، على يعالج
الصنم ويزحزحه ويلقيه على الأرض فيتناثر قطعاً
وأجزاءً والنبي - عليه السلام - يرجع نداءً..».

: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً..

النبي

«على جانب من الملتفين حول الكعبة، أبو
سفيان ينظر مبهوراً بقلب واجف، يلتفت إليه
الزبير بن العوام مناوشاً..»

: (لأبي سفيان) قد كسر هبل!!..! أما إنك قد كنت في يوم

أحد في غرور حين أخذت تقول: اعل هبل!!!

: دعنى ولا توبخنى يا ابن العوام، لو كان مع إله محمد إله
آخر لكان الأمر غير ذلك!

«النبي - عليه السلام - يصلى ركعتين، ثم
ينصرف المسلمون من حوله يكبرون - إلى زمزم،
ما يكاد يطلع عليها حتى طفق يقول..».

: لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوّاً..

النبي

«العباس يتقدم فينزع للنبي - عليه السلام
- دلوّاً ويقدمه إلى الرحمة المهداة.. يشرب عليه
السلام ويتوضأ والمسلمون منه.. على مقربة تقف
ثلة من المشركين تراقب في تعجب.. إن بعض
المسلمين يبتدرون وضوء رسول الله يصبونه على
وجوههم..»

: (في تعجب وحسرات) ما رأينا ملكاً قط أبلغ من هذا ولا

المشركون

سمعنا به!!